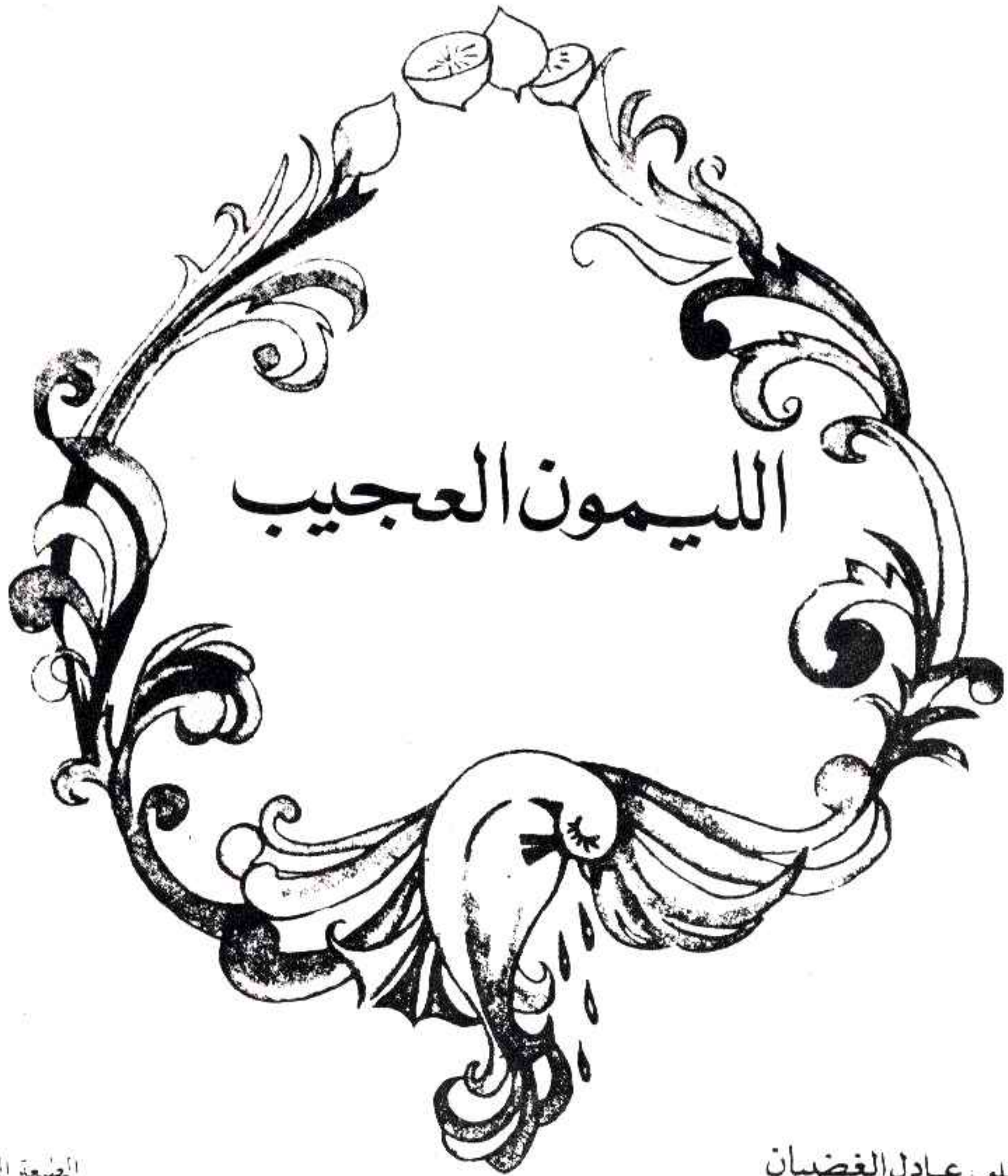


المكتبة الخضراء للأطفال



الطبعة الثالثة

بقلم: عادل الغضبان



دار المعارف

عَاشَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْقَدِيمَةِ، مَلِكٌ لَمْ يُرْزَقْ إِلَّا بِوَلَدٍ وَاحِدٍ،
 كَانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، وَكَانَ هَذَا الْإِبْنُ هُوَ الْأَمَلُ الْوَحِيدُ
 لِأُسْرَةٍ تَكَادُ تَنْقَرِضُ، وَكَانَ هُمْ أُيَّةِ الْأَوْحَدِ، أَنْ يُزَوِّجَهُ
 وَيَخْتَارَ لَهُ عَرُوسًا نَبِيلَةً غَنِيَّةً جَمِيلَةً، رَقِيقَةً الْحَاشِيَةِ طَيِّبَةَ
 الْقَلْبِ، فَمَا كَانَ يَحْلُمُ فِي أَثْنَاءِ مَنَامِهِ، إِلَّا بِأَنَّهُ أَصْبَحَ جَدًّا،
 يَحِفُّ حَوْلَيْهِ جَيْشٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ الصِّغَارِ، وَيَطْبَعُ عَلَى خُدُودِهِمْ
 قُبَلَاتِهِ الْحَارَّةَ .

وَلَقَدْ كَانَ هَذَا الْإِبْنُ : يَتَحَلَّى بِفَضَائِلَ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ
 إِذَا فُوتِحَ بِأَمْرِ الزَّوْاجِ، جَمَعَ كَالْفَرَسِ الْمُتَوَحِّشَةِ، وَهَرَبَ إِلَى
 الْغَابَاتِ، وَتَرَكَ وَالِدَهُ فِي حُزْنٍ مَا بَعْدَهُ حُزْنٌ، وَكَثِيرًا مَا بَدَلَ
 لَهُ النُّصْحَ نُجْبَةً مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ، فَمَا أَثَّرَتْ فِيهِ بِلَاغَتُهُمْ،
 وَلَا رَجَعَتْهُ دُمُوعُ أُيَّةِ عَنْ عِنَادِهِ .

وَاتَّفَقَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ كَانَ الْأَمِيرُ يَتَنَاوَلُ طَعَامَ الْإِفْطَارِ،



وَأَبُوهُ يَكِيلُ لَهُ الْعِظَةَ بَعْدَ الْأُخْرَى، وَالْأَمِيرُ مَشْغُولٌ عَنْهَا
 بِرُؤْيَا الذُّبَابِ يَتَطَايَرُ مِنْ حَوْلِهِ، فَفَسِيَ أَنَّهُ يَحْمِلُ سِكِّينًا
 فِي يَدِهِ، وَأَتَى بِحَرَكَةٍ تَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الصَّبْرِ، فَجَرَحَ إِصْبَعًا
 مِنْ أَصَابِعِهِ، وَتَدَفَّقَ مِنْهَا الدَّمُ وَاسْتَقَرَّ فِي صَحْنٍ مِنَ الْقِشْدَةِ
 كَانَ أَمَامَهُ، فَذَهَلَ مِنْ ذَلِكَ الْخَلِيطِ الْوَرْدِيِّ الَّذِي نَشَأَ مِنْ
 لَوْنِ الدَّمِ وَلَوْنِ الْقِشْدَةِ، وَاهْتَزَّتْ نَفْسُهُ، وَتَغَيَّرَ تَفْكِيرُهُ

فَجَاءَ ، وَقَالَ يُخَاطِبُ وَالِدَهُ :

- «مَوْلَايَ ! إِنَّ لَمْ أَجِدْ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ ، عَرُوسًا فِي
لَوْنِ هَذِهِ الْقِشْدَةِ الْمَمْرُوجَةِ بِدَمِي ، فَإِنِّي رَجُلٌ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ ،
فَهَذِهِ الْعَرُوسُ الْفَتَانَةُ ، لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ فِي مَكَانٍ مِنَ
الْأَمْكِنَةِ . . ، فَأَنَا أُحِبُّهَا ، بَلْ أُذُوبُ بِهَا غَرَامًا ، وَلَا شَيْءٌ
مُسْتَحِيلٌ فِي الْحَيَاةِ عَلَى الْقَلْبِ الْحَازِمِ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَحْيَا ،
فَأَسْمَعْ لِي أَنْ أَجُوبَ الْبِلَادَ لِأَعْتُرَّ عَلَى فِتَاةِ أَخْلَامِي ، وَإِلَّا
هَلَكْتُ مِنْذُ غَدٍ فَرِيْسَةً لِلرَّغْبَةِ وَالْحُزْنِ وَالضَّجْرِ .

حَدَّثَ وَلَا عَجَبَ عَنْ أَثَرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَجْنُونَةِ فِي قَلْبِ
الْمَلِكِ ، فَقَدْ خِيَّلَ إِلَيْهِ أَنْ قَصْرَهُ قَدْ تَهَدَّمَ عَلَى رَأْسِهِ ،
فَاصْفَرَ وَاحْمَرَ ، وَتَمَثَّمَ وَبَكَى ، وَعَادَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ فِي نِهَائِهِ
الْأَمْرِ ، وَقَالَ يُجِيبُ عَنْ كَلَامِ ابْنِهِ :

- « يَا وَلَدِي ، وَيَا عَصَا شَيْخُوحَتِي ، وَدَمَ قَلْبِي ! أَيُّ فِكْرٍ

غَرِيبٍ جَالٍ فِي خَاطِرِكَ؟ هَلْ فَقَدْتَ رُشْدَكَ؟ بِالْأَمْسِ جَعَلْتَنِي
أَمُوتُ غَمًّا، حِينَ رَفَضْتَ أَنْ تَتَزَوَّجَ وَتُقَرَّ عَيْنِي بِأَبْنَاءِ تَرِثُنِي،
وَالْيَوْمَ تَوَدُّ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيَّ إِذْ أَرَاكَ تَعْتَنِقُ الْأَوْهَامَ، فَإِلَى
أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ تَذْهَبَ أَيُّهَا الْغَيْبِيُّ؟ وَلِمَاذَا تَتْرُكُ مَنْزِلَكَ وَمَهْدَكَ
وَمَوْطِنَكَ؟ أَتَعْرِفُ الْأَخْطَارَ وَالْمَصَاعِبَ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا فِي
سَفَرِكَ؟ فَاتَّفِعْ عَنْكَ هَذِهِ الْأَهْوَاءَ الْخَطِرَةَ، وَابْقَ مَعِي يَا وُلْدِي
إِذَا شِئْتَ إِلَّا تَنْتَرِعَ مِني الْحَيَاةَ، وَتَهْدِمَ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ
عَرْشَكَ وَبَيْتَكَ! «

ذَهَبَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ وَغَيْرُهَا ضِيَاعًا، وَبَقِيَ الْأَمِيرُ عَبُوسَ
الْوَجْهِ، مُقَطَّبَ الْجَبِينِ، لَا يَرَى إِلَّا الرَّأْيَ الَّذِي يُرْضِيهِ،
حَتَّى إِذَا تَعَبَ الْمَلِكُ الشَّيْخُ مِنْ سَكْبِ الدُّمُوعِ وَبَذَلَ الرَّجَاءَ،
تَنَهَّدَ تَنَهَّدَةً طَوِيلَةً، وَقَرَّرَ أَنْ يَأْذَنَ لِابْنِهِ فِي السَّفَرِ، فَرَوَدَهُ
بِطَائِفَةٍ مِنْ نَصَائِحَ أَصَمَّ أُذُنِيهِ عَنْهَا، وَبِأَكْيَاسٍ مِنَ النُّقُودِ



رَحَّبَ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ تَرْحِيْبِهِ بِنِصَائِحِ أَيْيِهِ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ
 خَادِمَيْنِ أَمِينَيْنِ ، وَضَمَّ هَذَا الْإِبْنَ الْعَاقَّ إِلَى صَدْرِهِ مُوَدِّعًا ،
 وَصَعِدَ ، وَقَلْبُهُ يَتَقَصَّفُ حُزْنًا ، إِلَى أَعْلَى بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِ الْقَصْرِ ،
 لِيَتَّبِعَ ابْنَهُ بِأَنْظَارِهِ أَطْوَلَ مُدَّةٍ مُمَكِّنَةً .

فَلَمَّا غَابَ الْأَمِيرُ وَرَاءَ الْأُفُقِ ، ظَنَّ الْمَلِكُ الْمِسْكِينُ
 أَنَّ حُشَاشَتَهُ هِيَ الَّتِي غَابَتْ عَنْ نَاطِرِيهِ ، فَاعْتَمَدَ رَأْسَهُ بِكَفَيْهِ
 وَأَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ ، لَا بُكَاءَ طِفْلِ مِنْ الْأَطْفَالِ ، بَلْ بُكَاءَ
 وَالِدٍ عَلَى وَلَدِهِ إِنَّ دُمُوعَ الطِّفْلِ هِيَ مِثْلُ مَطَرِ الصَّيْفِ ،
 يَنْهَمِرُ قَطْرَاتٍ كَبِيرَةً وَلَكِنْ لَا تُبَلِّلُ ، فِي حِينِ أَنَّ دُمُوعَ
 الْوَالِدِ هِيَ مِثْلُ مَطَرِ الْخَرِيفِ ، يَنْهَمِرُ فِي هُدُوءٍ وَلَكِنَّهُ
 لَا يَجِفُّ .

حِينَمَا كَانَ الْمَلِكُ مَهْمُومًا مَغْمُومًا ، كَانَ ابْنُهُ الْأَمِيرُ رَاكِبًا
 صَهْوَةً جَوَادٍ أَصِيلٍ ، وَقَدْ هَمَّ أَنْ يَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى أَقَاصِي الْبِلَادِ



فأين

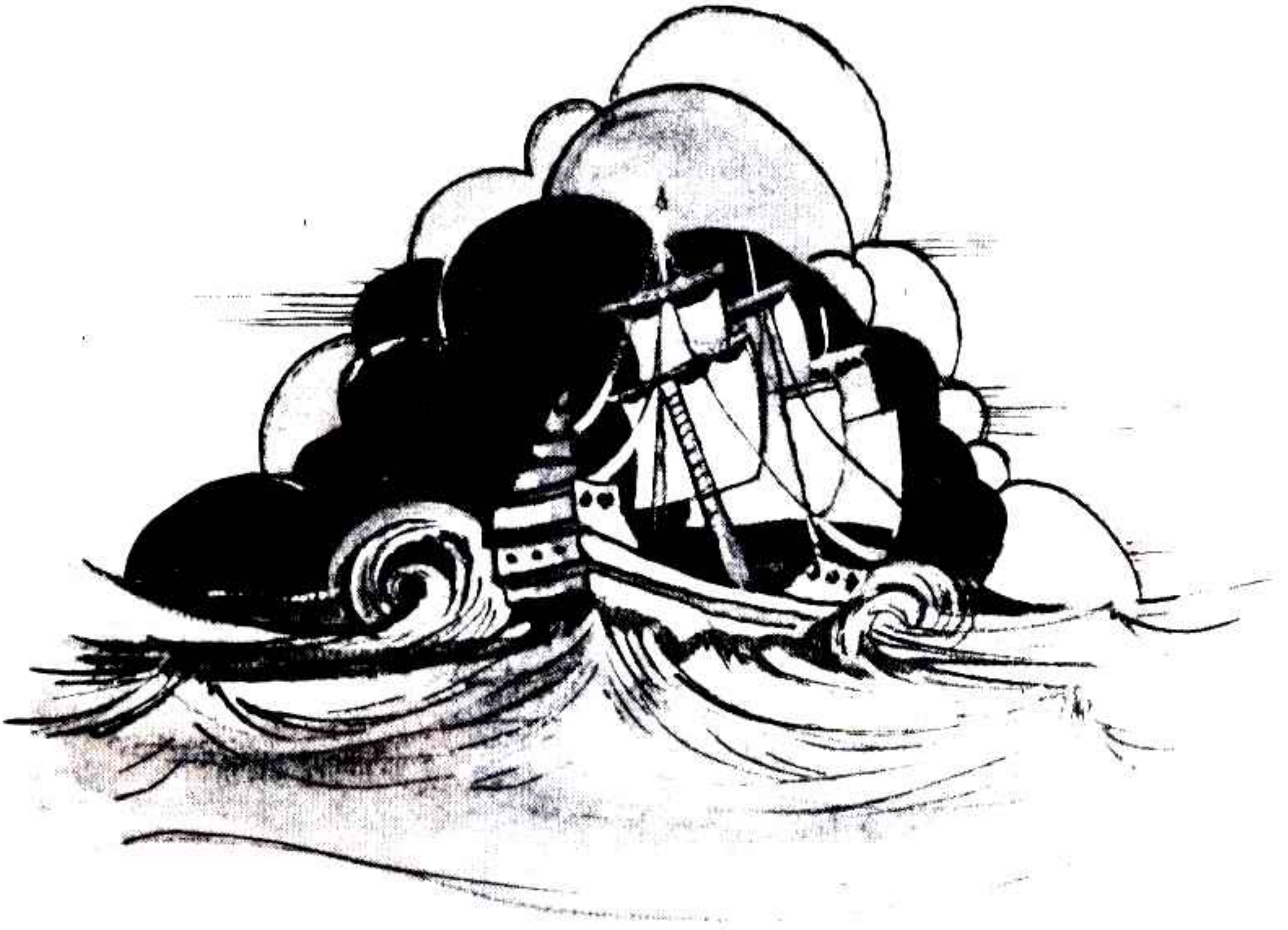
بَحْثًا عَنْ ضَالَّتِهِ .

وَبَدَأَ صَاحِبُنَا يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَيَزُورُ الْمَدْنَ وَالْقُرَى

وَالْقُصُورَ وَالْأَكْوَاحَ ، يُحَدِّقُ فِيهَا إِلَى وُجُوهِ النِّسَاءِ ، وَيُحَدِّقُنَ
 هُنَّ إِلَيْهِ ، فَمَا أَجْدَى بَحْثُهُ وَلَا عَثَرَ عَلَى الْكَنْزِ الَّذِي يَخْلُمُ بِهِ .
 وَبَقِيَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٍ كَامِلَةً ، قَرَّرَ بَعْدَهَا أَنْ
 يُسَافِرَ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ الْأَقْصَى ، فَرَكَبَ مِنْ أَحَدِ الْمَوَانِيءِ
 الْأُورُيَّةَ ، سَفِينَةً صَغِيرَةً أَخَذَتْ تَمَخُّرُ بِهِ عُبَابَ الْمَاءِ ،
 وَتَوَاجِهَ جِبَالَ الْأَمْوَاجِ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَرِضُ مَسِيرَهَا . أَمَّا
 الْخَادِمَانِ فَلَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يُرَافِقَاهُ فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ ، فَقَدَّ كَانِ
 كُلُّ مَنِهْمَا طَرِيحَ الْفِرَاشِ يُعَانِي تَبَارِيحَ الْحُمَى .
 وَمَرَّ الْأَمِيرُ فِي طَرِيقِهِ عَلَى مِصْرَ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ ، فَزَارَ
 الْأَقَالِيمَ وَالْأَحْيَاءَ ، وَدَخَلَ الْمَنَازِلَ وَالْأَكْوَاحَ بَاحِثًا عَنْ أَصْلِ
 ذَلِكَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ الَّذِي ارْتَسَمَ فِي مُخَيَّلَتِهِ ، فَرَأَى فِتْيَاتٍ
 مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَجِنْسٍ ، بَيْنَهُنَّ الشَّقْرَاءُ وَالسَّمْرَاءُ وَالْحَمْرَاءُ وَالصَّفْرَاءُ
 وَالسُّودَاءَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ بَيْنَهُنَّ مَحْبُوبَتَهُ .

وَمَا زَالَ يَجِدُ فِي أَثْرِ الْحَبِيبِ ، يَتَقَصَّاهُ فِي الْمُدُنِ وَالْقُرَى ،
 فِي الْجِبَالِ وَالسُّهُولِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَقْصَى الْمَعْمُورِ ، وَوَجَّهَ
 الْبَحْرَ وَالسَّمَاءَ ، وَقَلْبُهُ مَمْلُوءٌ بِيَأْسِ قَاتِلِ بَعْدَ إِذْ خَابَ فِي
 تَحْقِيقِ حُلْمِهِ .

وَيَيْنَمَا كَانَ يَمْشِي عَلَى الشَّاطِئِ فِي خُطَى وَاسِعَةٍ ، لَمَحَ
 شَيْخًا يَتَدَفَّأُ بِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ ، فَدَنَا مِنْهُ وَسَأَلَهُ قَائِلًا :



« هَلْ هُنَاكَ يَا سَيِّدِي شَيْءٌ وَرَاءَ هَذِهِ الْأَمْوَاجِ الْمُتَوَارِيَةِ
وَرَاءَ الْأُفُقِ؟ »

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ :

« كَلَّا أَيُّهَا الشَّابُّ ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ قَدْ عَثَرَ عَلَى شَيْءٍ فِي
هَذَا الْبَحْرِ الْخَالِي مِنَ الْجُزُرِ وَالشَّوْاطِيءِ ، وَلَا مِنْ مُغَامِرٍ رَجَعَ
بَعْدَ رِحْلَتِهِ إِلَى مَا وَرَاءَ هَذَا الْأُفُقِ ، وَإِنِّي لِأَذْكَرُ عِنْدَمَا كُنْتُ
صَبِيًّا ، أَنْ سَمِعْتُ شُبُوحَنَا يَقُولُونَ إِنَّ وَرَاءَ هَذَا الْأُفُقِ ، جَزِيرَةً
تَسْكُنُهَا الْجِنِّيَّاتُ الشَّرِيرَاتُ ، وَالْوَيْلُ لِلْأَحْمَقِ الَّذِي يُقْتَرِبُ
مِنْهُنَّ ، إِنَّ مَنَظَرَهُنَّ يَبْعَثُ عَلَى الْمَوْتِ . »

فَصَاحَ الْأَمِيرُ :

« إِنِّي لِأَقْتَحِمُ الْجَحِيمَ فِي سَبِيلِ أَنْ أُحَقِّقَ حُلْمِي ! »
وَكَانَ هُنَاكَ زَوْرَقٌ صَغِيرٌ ، فَقَفَزَ الْأَمِيرُ إِلَيْهِ ، وَأَرْخَى
الشَّرَاعَ ، وَدَفَعَتِ الرِّيحُ الزُّورَقَ فَسَارَ فِي عُرْضِ الْبَحْرِ ، وَابْتَعَدَتِ

الأرضُ بعدَ قليلٍ منَ نظرِ الأميرِ، وألقى نفسه في وسطِ
 الأمواجِ، يُحيطُ بهِ البحرُ منَ الجهاتِ الأربعِ، وبقيَ يسيرُ
 على غيرِ هُدًى في ذلكَ المحيطِ، حتَّى صاحَ فجأةً صيحةَ الفرحِ



فايزه

وَالِاسْتِبْشَارِ، وَكَانَ قَدْ لَمَحَ عَلَى الْبُعْدِ نُقْطَةً سَوْدَاءَ، فَمَا هِيَ إِلَّا قِطْرَةٌ وَجِيْزَةٌ، حَتَّى حَمَلَتْ الرِّيحُ الزُّورِقَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ، وَنَزَلَ الْأَمِيرُ بِشَاطِئِهِ لَمْ يَعُدْ مِنْهُ إِنْسَانٌ حَتَّى ذَلِكَ الْحِينِ، وَيَقُومُ عِنْدَ سَفْحِ صُخُورٍ عَالِيَةٍ ذَاهِبَةٍ فِي الْفَضَاءِ، وَقَدْ مَزَّقَ الزَّمَنُ رُؤُوسَهَا.

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ تَسَلُّقُ تِلْكَ الصُّخُورِ، فَلَا دُرُوبَ فِيهَا وَلَا طَرِيقَ، وَحَاوَلَ الْأَمِيرُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يُصْعِدَ فِيهَا، فَوَصَلَ بَعْدَ حِينٍ إِلَى مُنْبَسِطٍ مِنَ الْجِبَالِ وَهُوَ دَامِي الْيَدَيْنِ، يَلْهَثُ مِنَ التَّعَبِ، فَوَجَدَ فِيهِ قِطْعًا مِنَ الْجَلِيدِ، وَصُخُورًا سَوْدًا نَاتِيَةً مِنْ وَسَطِ الثَّلُوجِ، فَلَا شَجَرَةَ هُنَاكَ وَلَا عُودَ عُشْبٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هُنَاكَ صُورَةٌ الشِّتَاءِ وَالْمَوْتِ.

وَلَمْ تَقَعْ عَيْنُهُ فِي ذَلِكَ الْقَفْرِ الْمُوحِشِ، عَلَى حَيٍّ مِنَ الْأَحْيَاءِ، وَلَا عَلَى مَسْكِنٍ مِنَ الْمَسَاكِينِ سِوَى كُوخٍ حَقِيرٍ، كَانَ سَقْفُهُ

الْخَشْبِيُّ مُحَمَّلًا بِجِبَارَةٍ ضَخْمَةٍ يَسْتَطِيعُ بِهَا مُقَاوَمَةَ هُوجِ
الرِّيَّاحِ ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ الْأَمِيرُ مِنْ ذَلِكَ الْكُوخِ ، رَأَى مَشْهُدًا
عَجَبًا لَبِثَ بَعْدَهُ ذَاهِلًا صَامِتًا مِنَ الْخَوْفِ وَالذَّهْشَةِ .

كَانَ فِي صَدْرِ الْكُوخِ لَوْحٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّسِيجِ ، رُسِمَتْ فِيهِ
طَبَقَاتُ النَّاسِ جَمْعَاءَ ، فَمِنْ صُورِ لِلْمُلُوكِ وَالْجُنُودِ ، وَالْفَلَاحِينَ
وَالرُّعَاةِ ، إِلَى صُورِ لِنِسَاءٍ يَرْتَدِينَ أَفْخَرَ الْمَلَابِسِ ، إِلَى أُخْرَى
لِفَلَاحَاتٍ يَغْزِلْنَ الصُّوفَ ، وَفِي مُقَدِّمَةِ اللُّوحِ صِبْيَةٌ وَصَبَايَا
يَرْقُصُونَ وَيَمْرَحُونَ ، وَكَانَ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ ذَلِكَ اللُّوحِ ، سَيِّدَةٌ
عَجُوزٌ بَارِزَةٌ الْعِظَامِ ، صَفْرَاءُ الْبَشْرَةِ كَأَنَّهَا الْمَوْتُ فِي أَبْشَعِ
صُورِهِ ، وَقَدْ اعْتَمَدَتْ فِي كَفِّهَا مِقْصًا طَوِيلًا ، تَنْقُضُ بِهِ عَلَى
رُسُومِ ذَلِكَ اللُّوحِ ، كُلَّمَا غَازَطَهَا مِنْهُ رَسْمٌ ، انْقِضَاضَ الْعُنْكَبُوتِ
عَلَى فَرِيستِهَا ، وَتَقْصُّهُ طَوِيلًا وَعَرَضًا ، وَعَلَى الْأَثَرِ يُسْمَعُ مِنْ
وَرَاءِ اللُّوحِ ، صَرَخَاتٌ رَهِيْبَةٌ تُخِيفُ أَشْجَعَ الْقُلُوبِ ، فَقَدْ اجْتَمَعَ

فِيهَا عَوِيلُ الْأَطْفَالِ ، وَنَحِيبُ الْأُمَّهَاتِ ، وَشَهيقُ الشُّيُوخِ ،
 كَأَنَّمَا تَجَمَّعَ فِي ذَلِكَ الزَّفِيرِ كُلُّ أَنْوَاعِ عَذَابِ الْإِنْسَانِ ،
 فَتَقَهَّقَهُ لَهُ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ ضَاحِكَةً ، وَيُضِيءُ وَجْهَهَا الْبَشِعُ
 نُورِ فَرَحٍ مُتَوَحِّشٍ ، فِي حِينٍ تَكُونُ هُنَاكَ يَدٌ خَفِيَّةٌ تُصَلِّحُ
 مَا فَسَدَ مِنْ ذَلِكَ اللَّوْحِ الدَّائِمِ التَّمْزِيقِ ، الدَّائِمِ الْإِصْلَاحِ .
 كَانَتْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَةُ الشَّنْعَاءُ قَدْ فَتَحَتْ مِقْصَصَهَا ! وَكَادَتْ
 تَهْوِي بِهِ عَلَى اللَّوْحِ ، فَلَمَّا لَمَحَتْ ظِلَّ الْأَمِيرِ ، صَاحَتْ بِهِ
 قَائِلَةً دُونَ أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَيْهِ :

— « أَنْجُ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الشَّقِيُّ ، إِنِّي أَعْرِفُ مَا الَّذِي أَتَى
 بِكَ إِلَى هُنَا ، وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ مُعَاوَنَتَكَ عَلَيْهِ ، فَاذْهَبْ إِلَى
 شَقِيقتِي ، فَلَعَلَّهَا تُنِيلُكَ مَا أَنْتَ رَاغِبٌ فِيهِ ، فَهِيَ الْحَيَاةُ وَأَنَا
 الْمَوْتُ ! »

فَلَمْ يَكَدْ صَاحِبُنَا الْمُغَامِرُ يَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ ، حَتَّى أَطْلَقَ



فايزه

سَاقِيهِ لِلرِّيحِ ، سَعِيدًا بِالْفِرَارِ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْفَظِيعِ ، ثُمَّ قَادَهُ
 الْمَطَافُ إِلَى وَادٍ أَخْضَرَ خَصِيبٍ ، فِيهِ الْعُشْبُ النَّامِي ، وَالْحَدَائِقُ
 الْمُزْهَرَةُ ، وَالْكُرُومُ الْمُثْمِرَةُ ، فَرَأَى فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ
 شَجَرِ التِّينِ ، الْقَائِمَةَ عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ ، سَيِّدَةً ضَرِيرَةً ، تُدِيرُ
 حَوْلَ مِغْزَلِهَا خُيُوطًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ ، وَإِلَى جَانِبِهَا صُفَّتْ
 مَغَازِلُ كَثِيرَةٍ ، دَارَتْ عَلَيْهَا خُيُوطُ الْكُتَّانِ وَالْقُنْبِ وَالصُّوفِ
 وَالْحَرِيرِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ .

وَلَمَّا انْتَهَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ الضَّرِيرَةُ مِنْ عَمَلِهَا ، مَدَّتْ يَدَهَا
 الْمُرْتَجِفَةَ إِلَى مِغْزَلِ آخَرَ ، وَبَدَأَتْ بِهِ عَمَلًا جَدِيدًا ، فَحَيَّاهَا
 الْأَمِيرُ الْفَتَى تَحِيَّةً جَلِيلَةً ، وَحَاوَلَ بِصَوْتِ مُضْطَّرَبٍ ، أَنْ يَقْصُ
 عَلَيْهَا قِصَّةَ رِحْلَتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْجَنِيَّةَ اسْتَوْقَفَتْهُ وَقَالَتْ :

« لَا أَقْدِرُ أَنْ أُنِيلَكَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَبْتَغِيهَا
 يَا وَلَدِي ، فَمَا أَنَا إِلَّا ضَرِيرَةٌ مَسْكِينَةٌ لَا أَعْرِفُ أَنَا نَفْسِي مَاذَا

أَعْمَلُ ، فَهَذَا الْمِغْزَلُ الَّذِي تَنَاوَلْتُهُ عَرَضًا ، سَوْفَ يُحَدِّدُ مَصِيرَ
كُلِّ مَنْ يُوَلَدُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، وَهَذَا الْخَيْطُ الَّذِي لَا أَرَاهُ
تَرْتَبِطُ بِهِ السَّعَادَةُ أَوْ الشَّقَاءُ ، وَلَسْتُ أُسْتَطِيعُ لَهُ تَبْدِيلًا
فَاذْهَبْ إِلَى شَقِيقتِي الْأُخْرَى ، فَلَعَلَّهَا تُحَقِّقُ رَغْبَتَكَ ، فَهِيَ
الْمِيلَادُ وَأَنَا الْحَيَاةُ .

فَقَالَ لَهَا الْفَتَى :

— « شُكْرًا لَكَ يَا سَيِّدَتِي ! »

ثُمَّ هُرِعَ إِلَى لِقَاءِ أَصْغَرَ الْجِنِّيَّاتِ ؛ فَرِحَ الْقَلْبُ سَاكِنِ
الْجَاشِ ، فَوَجَدَهَا جَمِيلَةً مُشْرِقَةً إِشْرَاقَ الرَّيِّعِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ
مِنْ حَوْلِهَا يُوَلَدُ وَيَنْمُو ، فَالْقَمْحُ يُشْقُّ الْأَرْضَ وَيَخْرُجُ فِي
سَنَايِلِ خُضْرٍ ، وَشَجَرُ الْبُرْتُقَالِ تَفْتَحُ فِيهِ الزَّهْرُ ، وَكَذَلِكَ
الْحَالُ فِي بَقِيَّةِ الشَّجَرِ ، أَمَّا أَفْرَاحُ الدَّجَاجِ ، (الكتاكت)
وَلَمَّا يَنْبُتُ رِيشُهَا ، فَتَجْرِي حَوْلَ أُمِّهَا الْقَلِقَةَ ، وَالْحُمْلَانَ عَاكِفَةً

عَلَى ثُدَيِّ أُمَّاتِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ أَوَّلَ بَسْمَةِ لِلْحَيَاةِ .

اسْتَقْبَلَتِ الْجَنِيَّةُ الْأَمِيرَ اسْتِقْبَالًا حَسَنًا ، وَرَحَّبَتْ بِهِ أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ وَلَمْ تَهْزَأْ بِجُنُونِهِ ، ثُمَّ دَعَتْهُ إِلَى تَنَاوُلِ الْعِشَاءِ مَعَهَا ، وَبَعْدَ الْحُلُوفِ ، قَدَّمَتْ لَهُ ثَلَاثَ لَيْمُونَاتٍ ، وَسَكِينًا جَمِيلَةً ذَاتَ مِقْبُضٍ مِنَ الْعَاجِ وَالْفِضَّةِ ، وَقَالَتْ لَهُ :

« يُمَكِّنُكَ الْآنَ أَنْ تَعُودَ إِلَى أَبِيكَ ، فَقَدْ كَسَبْتَ الدَّعْوَى وَعَثَرْتَ عَلَى ضَالَّتِكَ الْمَنْشُودَةَ ، فَارْحَلْ رَاجِعًا إِلَى مَمْلَكَتِكَ ، واقْطَعْ لَيْمُونَةً مِنَ اللَّيْمُونَاتِ الثَّلَاثِ عِنْدَ أَوَّلِ نَبْعٍ تَرَاهُ فِيهَا ، وَسَوْفَ يَخْرُجُ مِنَ اللَّيْمُونَةِ الْمَقْطُوعَةِ جِنِيَّةٌ سَتَقُولُ لَكَ : « اسْقِنِي » فَقَدِّمْ لَهَا الْمَاءَ سَرِيعًا وَإِلَّا تَوَارَتْ عَنكَ فِي الْحَالِ ، وَإِذَا غَابَتْ عَنكَ الثَّانِيَةَ ، فَكُنْ حَذِرًا يَقِظًا مَعَ الثَّالِثَةِ ، فَاسْقِهَا تَفْرُ بِعَرُوسٍ كَمَا يَشْتَهِيهَا فُؤَادُكَ » .

فَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَمِيرِ فَرِحَةً مَا بَعْدَهَا فَرِحَةً ، فَقَبَّلَ يَدَ

الْجَنِّيَّةَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَوَدَّعَهَا وَسَارَ عَائِدًا إِلَى بَلَدِهِ ، وَمَعَهُ
 اللَّيْمُونَاتُ الثَّلَاثُ ، وَهُوَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا مُحَافِظَتَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ .



وَبَعْدَ جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ ، وَصَلَ إِلَى وَطَنِهِ ، وَحِينَمَا كَانَ عَلَى
 بَعْدِ سَاعَتَيْنِ مِنْ قَصْرِ أَبِيهِ ، مَرَّ بِغَابَةِ كَثِيفَةٍ ، طَالَمَا اسْتَسْلَمَ
 فِيهَا إِلَى الصَّيْدِ وَالْقَنْصِ ، فَجَلَسَ قُرْبَ عَيْنِ مَاءٍ صَافٍ ، يَسْتَرِيحُ
 عِنْدَهَا مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ سِكِّينَهُ وَقَطَعَ بِهَا إِحْدَى
 اللَّيْمُونَاتِ ، فَلَاحَتْ لَهُ عَلَى الْفُورِ فَتَاةٌ بِيضَاءُ كَاللَّبَنِ ، حَمْرَاءُ
 كَالكَرَزِ ، وَقَالَتْ لَهُ :

« إِسْقِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ .
 فَصَاحَ الْأَمِيرُ فِي نَفْسِهِ
 وَهُوَ مَاخُودٌ بِفِتْنَةِ الْفَتَاةِ
 وَجَمَالِهَا .
 وَقَدْ نَسِيَ نَصَائِحَ
 الْجَنِّيَّةِ :
 - « رَبَّاهُ مَا هَذَا الْجَمَالَ ؟ ! »



وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ غَابَتِ الْفَتَاةُ عَنْ عَيْنَيْهِ ، فَلَطَمَ وَجْهَهُ ،
وَكَانَتْ دَهْشَتُهُ ، دَهْشَةَ طِفْلِ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ الْمَاءَ بِأَصَابِعِ
كَفِّهِ الْمَفْتُوحَةِ .

حَاوَلَ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ اضْطِرَابِهِ ، فَعَمَدَ إِلَى اللَّيْمُونَةِ الثَّانِيَةِ
وَقَطَعَهَا ، فَلَا حَتَّ لَهُ أَمَامَ نَاطِرِيهِ فَتَاةٌ أَجْمَلُ مِنَ الْأُولَى ،
فَحَدَّقَ الْأَمِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْجَمَالِ مَدَّ هُوشًا ، وَلَكِنَّ الْفَتَاةَ تَوَارَتْ
مِنْ أَمَامِهِ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ .

فَأَجْهَشَ الْأَمِيرُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ بِالْبُكَاءِ ، وَانْسَكَبَتْ دُمُوعُهُ
عَلَى خَدَّيْهِ انْسِكَابَ مَاءِ الْعَيْنِ الْجَالِسِ فِي ظِلَالِهَا ، وَأَخَذَ يَنْتَجِبُ
وَيَشْدُ شَعْرَهُ ، وَيَسْتَنْزِلُ عَلَى نَفْسِهِ جَمِيعَ لَعْنَاتِ السَّمَاءِ وَيَقُولُ :

« يَا لِحُمَقَى وَغَبَاوَتِي ! كَيْفَ أَدْعُ الْفَتَاتَيْنِ تَفَرَّانِ مِنِّي
كَأَنَّ يَدَيَّ مَرْبُوطَتَانِ ، وَلَكِنْ لَا بَأْسَ ، فَلَمْ يَضِعِ الْأَمَلُ
إِلَّا إِذَا خَانَتْنِي السِّكِّينُ الَّتِي أَعْطَيْتْنِي إِيَّاهَا الْجَنِيَّةُ » .

قالَ هذا وَتَنَاوَلَ السِّكِّينَ ، وَقَطَعَ بِهَا اللَّيْمُونَةَ الثَّلَاثَةَ ،
فَظَهَرَتْ مِنْهَا جِنِّيَّةٌ رَائِعَةٌ الْجَمَالِ ، وَقَالَتْ لَهُ مَا قَالَتْهُ
زَمِيلَتَاهَا :

« اسْقِي » .

فَقَدَّمَ لَهَا الْمَاءَ عَلَى الْفُورِ ، فَشَرِبَتْ وَمَكَثَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي
فِتْنَةٍ وَدَلَالٍ ، وَمَكَثَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مَفْتُونًا بِجَمَالِهَا السَّاحِرِ
الْخَلَّابِ ، وَبِشَرَّتِهَا الْبَيْضَاءُ ، وَخَدَّيْهَا الْمُشْرِقَيْنِ بِلَوْنِ الْوَرْدِ ،
وَشَعْرِهَا الذَّهَبِيِّ ، وَعَيْنَيْهَا الزَّرْقَاوَيْنِ ، وَشَفَتَيْهَا الْوَرْدِيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ
لَا تَفْتَحَانِ إِلَّا لِمَعْسُولِ الْكَلَامِ .

أَخَذَ الْأَمِيرُ يُطِيلُ النَّظَرَ إِلَى خَطِيبَتِهِ الْحَسَنَاءِ ، وَيَسْتَغْرِبُ
كَيْفَ بَرَزَتْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْخَارِقَةُ مِنْ وَسْطِ لَيْمُونَةٍ ، فَقَالَ
فِي نَفْسِهِ :

« أَيْقِظَانُ أَنَا أُمُّ نَائِمٍ يَحْلُمُ جَمِيلَ الْأَخْلَامِ ، فَإِنْ كُنْتُ



هَذَا النَّائِمِ ، فَرَبَّاهُ رُحْمَاكَ لَا تُوقِظْنِي .

فَابْتَسَمَتْ لَهُ الْفَتَاةُ ابْتِسَامَةً حُلُوءَةً ، فَهَدَأَ رَوْعَهُ ، وَأَدْرَكَ
أَنَّهُ غَيْرُ حَالِمٍ ، وَلَا سِيِّمَا حِينَ طَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَبِيهِ
الْمَلِكِ ، لِيُبَارِكَ وَلَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا الْأَمِيرُ :

— « يَا عَزِيزَتِي ! أَنَا مِثْلُكَ فِي شَوْقٍ إِلَى رُؤْيَةِ أَبِي ، وَلَكِنَّا
لَا نَسْتَطِيعُ دُخُولَ الْقَصْرِ ، فِي زِيٍّ مَخْلُوقِينَ عَادِيَّيْنِ ، كَأَنَّهُمَا
رَاجِعَانِ مِنَ الْحَقْلِ ، فَيَجِبُ أَنْ تَصِلِي إِلَى الْقَصْرِ وَصُولَ أَمِيرَةٍ
مِنَ الْأَمِيرَاتِ ، وَيَجِبُ أَنْ تُسْتَقْبَلِي فِيهِ اسْتِقْبَالَ الْمَلِكَاتِ ،
فَانْتَظِرِي هُنَا أَعْدُ إِلَيْكَ بَعْدَ أَقَلِّ مِنْ سَاعَتَيْنِ ، بِثِيَابٍ فَاخِرَةٍ
لَائِقَةٍ ، وَبِحَاشِيَةٍ لَنْ تَنْفَصِلَ عَنْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ . »

وَقَبَّلَ يَدَهَا وَسَارَ فِي طَرِيقِ الْقَصْرِ .

بَقِيَتِ الْفَتَاةُ وَحْدَهَا فَاسْتَوْحِشَتْ وَخَافَتْ ، وَنَظَرَتْ حَوْلَهَا
فَرَأَتْ بِقُرْبِ عَيْنِ الْمَاءِ ، شَجَرَةً سِنْدِيَانٍ قَدِيمَةً ، قَدْ حَفَرَ

الزَّمانُ فِي وَسْطِهَا حُفْرَةٌ كَانَتْ لَهَا مَلْجَأٌ صَعِدَتْ فِيهِ، وَاخْتَبَأَتْ
وَلَمْ يَبْرُزْ مِنْ مَخْبِئِهَا إِلَّا رَأْسُهَا الْجَمِيلُ، يُحِيطُ بِهِ وَرَقُ
الشَّجَرَةِ، وَيَنْعَكِسُ نُورُ وَجْهِهَا عَلَى مَاءِ النَّبْعِ الشَّفَافِ، كَأَنَّهُ
مِرْآةٌ صَافِيَةٌ.

وَكَانَ فِي ضَاحِيَةِ ذَلِكَ الْمَكَانِ، جَارِيَةٌ قَبِيحَةٌ الْمَنْظَرِ،
تُرْسِلُهَا سَيِّدَتُهَا كُلَّ صَبَاحٍ إِلَى النَّبْعِ، تَمَلُّ مِنْهُ جَرَّةَ مَاءٍ،
فَجَاءَتْ، عَلَى عَادَتِهَا، تَحْمِلُ جَرَّتَهَا عَلَى كَتِفِهَا، وَحِينَمَا بَدَأَتْ
تَمَلُّهَا رَأَتْ صُورَةَ الْجِنِّيَّةِ فِي الْمَاءِ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ رَأَتْ
وَجْهَهَا فِي الْمِرْآةِ قَطًّا، فَظَنَّتِ الْغَيِّبَةَ أَنَّ الصُّورَةَ صُورَتُهَا
فَصَاحَتْ تَقُولُ :

— « وَيَلِي مَا أَشْقَانِي ! أَأَكُونُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْجَمَالِ وَالْإِشْرَاقِ،
وَتَبَعْنِي سَيِّدَتِي أُسْتَقِي لَهَا الْمَاءَ، وَأَحْمِلُهُ إِلَيْهَا كَأَنِّي
الْحِمَارُ الْبَلِيدُ ؟ ! كَلَّا إِنَّ هَذَا لَنْ يَكُونَ . »

وَعَمَدَتْ فِي سَوْرَةِ غَضَبِهَا إِلَى الْجَرَّةِ فَكَسَرَتْهَا ، وَعَادَتْ
إِلَى سَيِّدَتِهَا صَفْرَ الْيَدَيْنِ ، فَاسْتَاءَتْ هَذِهِ مِنْهَا ، وَأَشَارَتْ إِلَى
بِرْمِيلِ صَغِيرٍ ، وَأَمَرَتْهَا أَنْ تَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْعَيْنِ وَتَمْلَأَهُ .

فَمَشَتْ الْجَارِيَةَ إِلَى الْعَيْنِ ، وَلَمَّا رَأَتْ الصُّورَةَ الْجَمِيلَةَ
تَتَرَاقَصُ عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ ، تَنْهَدَتْ وَقَالَتْ :

« لَسْتُ بِقِرْدٍ كَمَا يَقُولُونَ لِي دَائِمًا ، فَإِنِّي أَجْمَلُ مِنْ
سَيِّدَتِي ، وَلَا يَحْمِلُ الْبِرْمِيلَ إِلَّا الْحَمِيرُ . »

فَأَلْقَتْ الْبِرْمِيلَ عَنْ كَتِفِهَا ، وَحَطَّمَتْهُ إِلَى أَلْفِ قِطْعَةٍ ،
وَرَجَعَتْ إِلَى سَيِّدَتِهَا تَقُولُ لَهَا ، إِنَّ حِمَارًا مُتَوَحِّشًا قَدْ اصْطَدَمَ
بِهَا فَوْقَ الْبِرْمِيلِ وَتَحَطَّمَ ، فَاسْتَشَاطَتْ سَيِّدَتُهَا عِنْدَئِذٍ غَيْظًا ،
وَأَهْوَتْ عَلَيْهَا تَضْرِبُهَا وَتَرْكُلُهَا ثُمَّ انْتَزَعَتْ قَرِيبَةً كَانَتْ مُعَلَّقَةً
عَلَى الْحَائِطِ ، وَقَالَتْ لِجَارِيَتِهَا :

« خُذِي هَذِهِ الْقَرِيبَةَ ، وَسَارِعِي إِلَى الْعَيْنِ ، فَإِذَا لَمْ تَعُودِي





بَعْدَ قَلِيلٍ ، بِهَذِهِ الْقِرْبَةَ مَمْلُوءَةً بِالْمَاءِ ، فَسَوْفَ أُقِي عَلَيْكَ
دَرْسًا لَنْ تَنْسِيَهُ مَدَى حَيَاتِكَ .

فَاضْطَرَّ بَتِ الْجَارِيَةِ وَخَافَتْ لَمَّا رَأَتْ سَيِّدَتَهَا يَتَطَايَرُ الشَّرَرُ
مِنْ عَيْنَيْهَا ، وَخَفَّتْ إِلَى الْعَيْنِ تَمَلُّ الْقِرْبَةَ مِنْهَا فَامْتَلَأَتْ ،
وَلَكِنْ تَذَكَّرَتْ هُنَا سَيِّدَتَهَا وَقَسَوَتْهَا فَثَارَتْ عَلَيْهَا وَقَالَتْ
مُغْضِبَةً :

– « كَلَّا ! مَا أَنَا بِحَمَالَةٍ مَاءٍ ، إِنِّي سَأَنْفُقُ مِثْلَمَا تَنْفُقُ

الْكِلَابُ فِي خِدْمَةِ سَيِّدَةٍ شَرِيسَةٍ ! »

فَسَحَبَتْ مِنْ رَأْسِهَا دُبُوسًا كَبِيرًا كَانَ يُمْسِكُ شَعْرَهَا ، فَثَقَبَتْ
بِهِ الْقُرْبَةَ ثُقُوبًا كَثِيرَةً ، جَاعِلَةً مِنْهَا رَشَاشَةً يَتَدَفَّقُ مِنْهَا الْمَاءُ
سُيُولًا مُتَعَدِّدَةً .

وَسَرَّ الْفَتَاةَ الْجَنِّيَّةَ الْمُخْتَبِئَةَ فِي الشَّجَرَةِ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ ،
فَقَهَقَتْ ضَاحِكَةً ، فَرَفَعَتِ الْجَارِيَّةُ نَظْرَهَا إِلَى الشَّجَرَةِ ، وَوَقَعَ
عَلَى الْفَتَاةِ الْجَمِيلَةِ ، فَفَهِمَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَعَزَمَتْ فِي نَفْسِهَا أَنْ
تَنْتَقِمَ مِنْ هَذِهِ الْحَسَنَاءِ الَّتِي تَسَبَّتْ فِي ضَرْبِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا أَخْفَتُ
عَزْمَهَا وَقَالَتْ لِلْفَتَاةِ بِصَوْتٍ حُلُوٍ نَاعِمٍ :

– « مَاذَا تَفْعَلِينَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ يَا فَتَاتِي ؟ ! »

وَكَانَتِ الْفَتَاةُ رَقِيقَةً الشُّعُورِ ، فَأَخَذَتْ تُجَاذِبُ الْجَارِيَّةَ
أَطْرَافَ الْحَدِيثِ ، وَتُعْزِيهَا عَمَّا أَصَابَهَا ، ثُمَّ حَدَّثَتْهَا عَنِ الْأَمِيرِ

وَمَا جَرَى لَهَا مَعَهُ ، وَكَيْفَ أَنَّهُ سَيَّأَتِي عَمَّا قَرِيبٍ ، فِي مَوْكِبِ
 حَافِلٍ ، لِيَصْحَبَ خَطِيبَتَهُ إِلَى الْمَلِكِ ، وَيَتَزَوَّجَهَا فِي حَضْرَتِهِ
 وَحَضْرَةِ رِجَالِ الْبَلَاطِ .



اسْتَمَعَتِ الْجَارِيَةُ لِلْفَتَاةِ ، وَأَلْهَمَهَا الْخُبْثُ وَالِدَهَاءُ بِأَمْرٍ مِنَ
 الْأُمُورِ فَقَالَتْ لَهَا :

« يَا ابْنَتِي ؛ إِنَّ خَطِيبَكَ قَادِمٌ إِلَيْكَ فِي حَاشِيَةِ كَبِيرَةٍ ،

فَيَجِبُ أَنْ تَتَجَمَّلِي قَبْلَ وُصُولِهِ ، فَدَعَيْتِي أَصْعَدُ إِلَيْكَ وَأُهَيِّئُ
لَكَ شَعْرَكَ .

فَقَالَتْ لَهَا الْفَتَاةُ وَهِيَ تَبْتَسِمُ :

- « أَقْبِلِي إِقْبَالَ الرَّبِيعِ » .

وَمَدَّتْ لَهَا يَدَهَا فَتَشَبَّثَتْ بِهَا الْجَارِيَّةُ ، وَصَارَتْ بَعْدَ لَحْظَاتٍ
إِلَى جَانِبِ الْفَتَاةِ ، فَمَا كَادَتْ تَصِلُ إِلَيْهَا حَتَّى حَلَّتْ شَعْرَ الْفَتَاةِ ،
وَأَخَذَتْ تُجْرِي الْمَشْطَ فِيهِ ، ثُمَّ أَمْسَكَتْ فَجَاءَتْ بِدُبُوسِهَا الْكَبِيرِ ،
وَعَرَزَتْهُ فِي رَأْسِ الْجَنِيَّةِ اللَّطِيفَةِ ، فَلَمَّا شَعَرَتْ هَذِهِ بِالْمِ
الْوَحْزَةِ صَاحَتْ تَقُولُ :

- « يَا لَمْبُ ! يَا لَمْبُ ! »

وَعَلَى الْأَثَرِ ، تَحَوَّلَتْ إِلَى حَمَامَةٍ انْطَلَقَتْ طَائِرَةً فِي الْفِضَاءِ ،
فِي حِينٍ جَلَسَتْ الْجَارِيَّةُ الشَّنْعَاءُ فِي مَكَانٍ ضَخِيئَتِهَا .
وَكَانَ الْأَمِيرُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، رَاكِبًا ظَهَرَ جَوَادٍ أَصِيلٍ

يُسَابِقُ بِهِ الرِّيحَ إِلَى خَطِيبَتِهِ ، فَحِينَمَا بَلَغَ الْعَيْنَ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى الشَّجَرَةِ ، وَعَلِقَ بَصْرُهُ بِالْجَارِيَةِ قَالَ : لَقَدْ تَرَكَتُ حَمَامَةً وَدَيْعَةً اتَّقَلَبْتُ إِلَى غُرَابٍ شَنِيعٍ ، فَكَادَ يُصْعَقُ مِنْ هَوْلِ الْمَفَاجَأَةِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَلَكِنَّ الدُّمُوعَ خَنَقَتْهُ فَبَقِيَ صَامِتًا بُجِيلٌ بَصْرُهُ فِي جَمِيعِ الْأَنْحَاءِ لَعَلَّهُ يَقَعُ عَلَى حَبِيبَتِهِ .
 أَمَّا الْجَارِيَةُ الشَّنَّاءُ ، فَتَظَاهَرَتْ بِالْأَلَمِ وَالْعَذَابِ ، وَقَالَتْ لَهُ وَعَيْنَاهَا مُغْمَضَتَانِ :

– « لَا تُطِلِ الْبَحْثَ يَا أَمِيرِي ، فَإِنَّ جَنِيَّةً شَرِّيرَةً جَعَلَتْ مِنِّي ضَحِيَّتَهَا ، وَحَوَّلَتْ جَمَالَ خَطِيبَتِكَ إِلَى هَذِهِ الْبَشَاعَةِ . »

فَلَعَنَ الْأَمِيرُ الْجَنِيَّاتِ الشَّرِّيرَاتِ ، وَلَكِنَّهُ أَبِي أَنْ يَنْكُثَ عَهْدَهُ ، فَسَاعَدَ الْجَارِيَةَ عَلَى النُّزُولِ مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَزَفَرَاتُهُ تَكَادُ تَقْتَلِعُ شَجَرَ الْغَابَةِ ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَتْ الْحَاشِيَةَ ، وَالْبَسُوا

الْجَارِيَّةَ مَلَابِسَ الْأَمِيرَاتِ ، وَزَيْنُوهَا بِالذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ ، أَجْلَسَهَا
 الْأَمِيرُ إِلَى يَمِينِهِ ، فِي مَرَكَبَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الْبِلُّورِ ، تَجْرُهَا
 سِتَّةُ جِيَادٍ بِيضٍ ، وَسَارَ الْمَوْكِبُ إِلَى الْقَصْرِ ، وَالْأَمِيرُ حَزِينٌ
 النَّفْسِ حَتَّى الْمَوْتِ .

وَكَانَ الْمَلِكُ يَنْتَظِرُ ابْنَهُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْقَصْرِ ، مَشْغُوفًا
 بِأَنْ يَرَى تِلْكَ الدَّرَّةَ الثَّمِينَةَ الَّتِي وَصَفَهَا لَهُ ابْنُهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ
 مُقْبِلًا عَلَيْهِ هُوَ وَعَرُوسُهُ ، ضَرَبَ بِالْمَرَامِسِ الْمَلَكِيَّةِ عُرْضَ
 الْحَائِطِ ، وَابْتَعَدَ مِنْ رِجَالِ الْبَلَاطِ الَّذِينَ كَانُوا مُحِيطِينَ بِهِ ،
 وَسَارَعَ إِلَى لِقَاءِ الْمَوْكِبِ ، مُشْتَاقًا إِلَى أَنْ يُنْعِمَ النَّظَرَ بِجَمَالِ
 عَرُوسِ ابْنِهِ ، فَخَابَ ظَنُّهُ لَمَّا رَأَى أَنَّ الْحَمَامَةَ الْحَسَنَاءَ لَمْ
 تَكُنْ إِلَّا بَوْمَةً قَيْحَةً ، فَصَاحَ قَائِلًا :

« يَا لِدَاهِيَّةِ ! نَعَمْ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ آبِي مَجْنُونٌ ، وَلَكِنَّهُ
 صَحِيحُ الْبَصْرِ غَيْرُ أَعْمَى ! فَهَلْ هَذِهِ هِيَ الزَّنْبَقَةُ الَّتِي

ذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْهَا فِي أَقَاصِي الْبِلَادِ ؟ وَهَلْ هَذِهِ هِيَ الْوَرْدَةُ
 الَّتِي يَفُوقُ جَمَالَهَا جَمَالَ الْفَجْرِ ؟ وَهَلْ هَذِهِ هِيَ رَبَّةُ
 الْحُسْنِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ لَيْمُونَةَ ؟ وَهَلْ يَظُنُّونَ أَنِّي أَقْبَلُ
 هَذِهِ الْإِهَانَةَ الَّتِي يَرْمُونَ بِهَا شَيْخُوحَتِي وَمَشِيْبِي ؟ وَهَلْ
 يَعْتَقِدُونَ أَنِّي أَتْرَكُ مَمْلَكَتِي الَّتِي وَرِثْتُهَا عَنْ أَجْدَادِي
 الْعِظَامِ ، إِلَى ابْنِ أَحْمَقَ أَعْمَى جَاهِلٍ ؟ إِنْ نِي لَا أُرِيدُ أَنْ
 تَدْخُلَ هَذِهِ الْقِرْدَةَ مَمْلَكَتِي !

فَارْتَمَى الْأَمِيرُ عِنْدَ قَدَمِي أَبِيهِ الْمَلِكِ ، مُحَاوِلًا أَنْ يَشْنِيَهُ
 عَنْ رَفْضِهِ ، وَأَخَذَ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ ، وَكَانَ رَجُلًا حَكِيمًا
 خَيْرًا بِشُؤْنِ الْحَيَاةِ وَالنَّاسِ ، يَنْصَحُ الْمَلِكَ بِالْمُوَافَقَةِ
 عَلَى زَوْاجِ ابْنِهِ ، فَمَا بَيْنَ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَاتِّبَاهَتِهَا ، يُغَيِّرُ اللَّهَ
 مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَيَنْقَلِبُ الْقُبْحُ جَمَالًا ، فَأَذَعَنَ الْمَلِكُ
 فِي آخِرِ الْأَمْرِ لِرَجَاءِ ابْنِهِ وَالْوَزِيرِ ، وَوَافَقَ مُكْرَهًا مُتَضَايِقًا



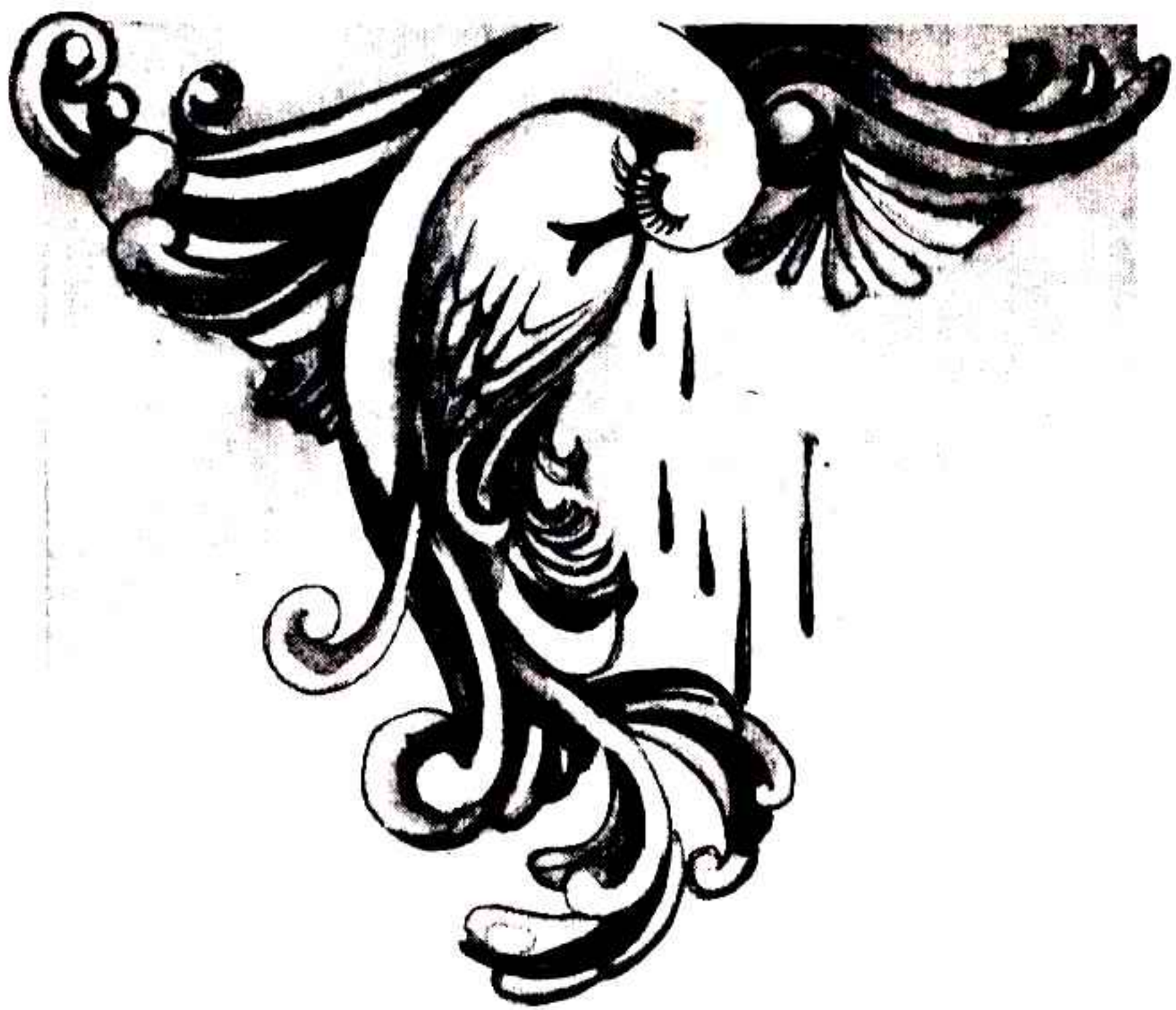
فايزه

عَلَى هَذَا الزَّوْجِ الْغَرِيبِ ، وَقَرَّرَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ،
 وَغَرَضُهُ أَنْ يَتَّسِعَ الْوَقْتُ لِإِعْدَادِ مِهْرَجَانِ الْعُرْسِ الْعَظِيمِ .
 وَبَيْنَمَا كَانَ الْعَمَلُ قَائِمًا عَلَى قَدَمِ وَسَاقٍ ، وَقَفَتْ ذَاتَ
 صَبَاحٍ حَمَامَةٌ زَرْقَاءُ الْجَنَاحَيْنِ ، عَلَى نَافِذَةٍ مِنْ نَوَافِذِ الْمَطْبَخِ ،
 وَشَرَعَتْ تُغْنِي بِصَوْتٍ فِيهِ عُدُوبَةٌ ، وَفِيهِ تَنَهُدٌ وَشَكْوَى
 وَهِيَ تَقُولُ :

– «رُوكُو ، رُوكُو ، رُوكُو ، أَيُّهَا الطَّاهِي الْكَبِيرُ ! حَدِّثْنِي

عَنْ أَخْبَارِ الْجَارِيَةِ وَالْأَمِيرِ !»

ذَهَلَ رَئِيسُ الطُّهَّاءِ لَمَّا سَمِعَ حَمَامَةً تَتَكَلَّمُ ، فَأَسْرَعَ
 بِخَبْرٍ بِذَلِكَ سَيِّدَتَهُ الْجَدِيدَةَ ، فَزَلَّتْ مُسْرِعَةً إِلَى الْمَطْبَخِ ،
 وَسَمِعَتْ غِنَاءَ الْحَمَامَةِ وَأَقْوَالَهَا ، فَأَمَرَتْ أَنْ تُمَسَّكَ وَتُدْبَحَ ،
 فَأَمْسَكَهَا رَئِيسُ الطُّهَّاءِ فَلَمْ تُقَاوِمَهُ ، فَذَبَحَهَا وَرَمَى بِهَا فِي
 الْحَدِيقَةِ ، فَزَلَّ مِنْهَا ثَلَاثُ نَقَطٍ دَمٍ ، انْبَثَقَتْ مِنَ الْأَرْضِ فِي



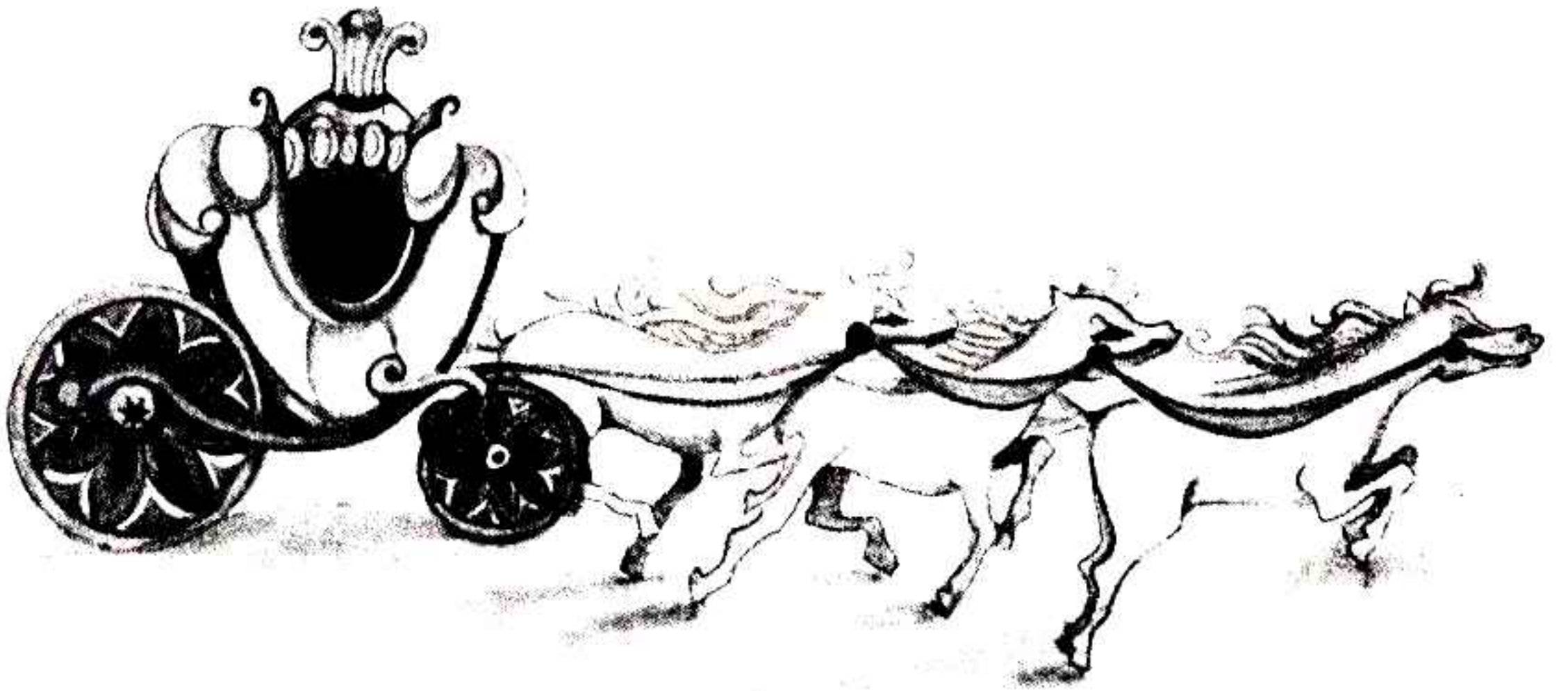
مَكَانِهَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، شَجَرَةٌ لَيْمُونٌ ، ظَلَّتْ تَكْبَرُ وَتَكْبَرُ
إِلَى أَنْ امْتَلَأَتْ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِزَهْرِ اللَّيْمُونِ .
وَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ الْأَمِيرُ فِي الْمَسَاءِ ، إِلَى الشُّرْفَةِ يَسْتَنَشِقُ
النَّسِيمَ ، فَشَاهَدَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي لَمْ يَرَهَا قَطُّ مِنْ قَبْلُ ،
فَأَرْسَلَ يَدْعُو رَأْسَ الطُّهَّاءِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ مِنْهُ حِكَايَتَهَا ،
أَصْدَرَ أَمْرًا يُحَرِّمُ الْإِقْتِرَابَ مِنْ شَجَرَةِ اللَّيْمُونِ هَذِهِ .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، جَرَى الْأَمِيرُ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، فَوَجَدَ
عَلَى الشَّجَرَةِ ثَلَاثَ لَيْمُونَاتٍ ، شَبِيهَةً بِتِلْكَ الَّتِي أَهْدَتْهَا لَهُ
الْجِنِّيَّةُ ، فَقَطَفَ الْأَمِيرُ اللَّيْمُونَاتِ الثَّلَاثَ ، وَدَخَلَ مِخْدَعَهُ
وَأَقْفَلَ الْبَابَ عَلَيْهِ .

وَيَدٍ مُضْطَّرِبَةً ، تَنَاوَلَ كَأْسًا مِنَ الذَّهَبِ ، مُرْصَعًا
بِالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَمَلَأَهُ مَاءً ، وَأَخْرَجَ السِّكِّينَ الَّتِي
مَا كَانَتْ تُفَارِقُهُ ، وَقَطَعَ بِهَا إِحْدَى اللَّيْمُونَاتِ ، فَبَرَزَتْ مِنْهَا
الْفَتَاةُ الْجِنِّيَّةُ الْأُولَى ، فَكَادَ الْأَمِيرُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَرَكَهَا
تَطِيرُ ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِفَتَاةِ اللَّيْمُونَةِ الثَّانِيَةِ ، وَلَكِنْ مَا هُوَ
أَنْ تَبْرُزَ الْفَتَاةُ الثَّلَاثَةُ ، حَتَّى قَدَّمَ لَهَا كَأْسَ الْمَاءِ ، فَشَرِبَتْ
مُبْتَسِمَةً ، وَكَانَتْ مِثْلَمَا عَرَفَهَا حُسْنًا وَرَوْعَةً جَمَالٍ .

فَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْفَتَاةُ مَا فَعَلَتْهُ بِهَا الْجَارِيَةُ الشَّنْعَاءُ ، وَمَا
تَحَمَّلَتْهُ بِسَبَبِهَا مِنْ عَذَابٍ ، فَغَضِبَ وَثَارَ ، وَبَكَى وَابْتَسَمَ ،

وَمَلَأَ الْقَصْرَ صُرَاخًا وَهُوَ فَرِحُ غَضْبَانَ ، فَهَرِعَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ
 مَدَّهُوْشًا ، فَلَمَّا رَأَى الْفَتَاةَ الْحَسَنَاءَ ، كَادَ يَفْقِدُ رُشْدَهُ ، وَأَخَذَ
 يَرْقُصُ وَيُغَنِّي طَرْبًا وَسُرُورًا ، ثُمَّ وَقَفَ فَجَاءَةً ، وَقَطَّبَ حَاجِبِيَهُ ،
 وَتَلَّكَ عَادَتُهُ عِنْدَمَا يَسْتَسَلِمُ إِلَى التَّفَكِيرِ ، وَأَلْقَى عَلَى عَرُوسِ
 ابْنِهِ غِلَالَةً ، سَتَرَتْهَا إِلَى الْقَدَمَيْنِ ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ يَدِهَا ، وَسَارَ
 بِهَا إِلَى قَاعَةِ الطَّعَامِ ، وَكَانَتْ غَاصَّةً بِالْأَعْيَانِ وَرِجَالَاتِ



الْبَلَاطِ وَالْوُزَرَءَ ، يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ الْمَلِكِ لِيَتَنَاوَلُوا مَعَهُ
 طَعَامَ الْإِفْطَارِ ، فَدَعَا الْمَلِكُ كُلًّا مِنْهُمْ إِلَيْهِ عَلَى التَّوَالِي ،
 فَلَا يَكَادُ الْقَادِمُ يَصِلُ إِلَى حَيْثُ تَقِفُ الْفَتَاةُ ، حَتَّى يُزِيحَ
 الْمَلِكُ الْغِلَالَةَ عَنْهَا وَيَسْأَلَ الْقَادِمَ :

– « مَنْ أَرَادَ طَمَسَ هَذِهِ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَةَ ، فَأَيُّ

قِصَاصٍ يَسْتَحِقُّ ؟ »

فَكَانَ كُلُّ يُجِيبُ وَفَقَ هَوَاهُ ، فَلَمَّا جَاءَتْ نَوْبَةَ الْجَارِيَةِ
 الشَّنْعَاءِ ، اقْتَرَبَتْ مِنَ الْفَتَاةِ بِغَيْرِ حِرْصٍ وَلَا حَذَرٍ ، وَلَمْ
 تَعْرِفْهَا ، فَقَالَتْ تُخَاطِبُ الْمَلِكَ :

– « مَوْلَايَ ! إِنَّ الْوَحْشَ الَّذِي عَذَّبَ هَذِهِ الْفَتَاةَ

الْجَمِيلَةَ ، يَسْتَحِقُّ وَلَا شَكَّ أَنْ يُحْرَقَ حَيًّا ، فِي فُرْنٍ مِنَ الْأَفْرَانِ ،
 وَأَنْ يُذْرَى رَمَادُهُ فِي كُلِّ رِيحٍ . »

فَصَاحَ الْمَلِكُ :

– « إِنَّكَ حَكَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِنَفْسِكَ ، فَانظُرِي آيَتَهَا
 الْمَلْعُونَةَ إِلَى ضَحِيَّتِكَ ، وَاَعْرِفِيهَا وَاسْتَعِدِّي لِلْمَوْتِ ! »
 فَخَطَّتِ الْفَتَاةُ الطَّيِّبَةَ إِلَى الْمَلِكِ خُطُوتَيْنِ ، وَأَمْسَكَتْ
 بِيَدِهِ وَقَالَتْ :

– « مَوْلَايَ ! هَلْ لِي أَنْ أُطَلَّبَ إِلَيْكَ هَدِيَّةً مِنْ هَدَايَا
 عُرْسِي ؟ »

فَقَالَ الْمَلِكُ الشَّيْخُ :
 – « أُطَلِّبِي مَا شِئْتَ أَمْنَحُكَ إِيَّاهُ رَاضِيًا مَسْرُورًا ، وَلَوْ كَانَ
 تَاجَ مُلْكِي . »
 فَقَالَتْ :

– « اِمْنَحْنِي الْعَفْوَ عَنْ هَذِهِ الْمِسْكِينَةِ ، فَالشَّقَاءُ وَالْجَهْلُ عُلَمَاهَا
 الْحَسَدَ وَالْحِقْدَ عَلَى النَّاسِ ، فَاتْرُكْنِي أَجْعَلُهَا سَعِيدَةً ، وَأُعَلِّمُهَا
 أَنَّ الْحُبَّ مَجْلَبَةٌ لِلْسَّعَادَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا . »

فَقَالَ الْمَلِكُ :

« حَقًّا إِنَّكَ يَا ابْنَتِي لَجَنِيَّةٌ طَيِّبَةٌ الْقَلْبِ ، لَا تَدْرِي شَيْئًا
عَنْ عَدَالَةِ الْبَشَرِ ؛ وَكَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ ، فَقَدْ وَعَدْتُكَ أَنْ أَمْنَحَكَ
مَا تَطْلُبِينَ ، فَخُذِي هَذِهِ الْحَيَّةَ الرَّقْطَاءَ ، وَرَوِّضِيهَا مَا شِئْتِ ،
وَلَكِنِ احْذَرِيهَا كُلَّ الْحَذَرِ . »

فَأَقْبَلَتِ الْفَتَاةُ عَلَى الْجَارِيَةِ الشَّرِيرَةِ فَأَنْهَضَتْهَا ، وَقَبَّلَتْ هَذِهِ

يَدَيْهَا وَهِيَ تَبْكِي ، ثُمَّ جَلَسَ

الْقَوْمُ إِلَى الْمَائِدَةِ ، يَتَنَاوَلُونَ

طَعَامَ الْإِفْطَارِ ، وَكَانَ الْمَلِكُ

فَرِحًا مُغْتَبِطًا ، فَأَأْكَلَ أَكْلَ

أَرْبَعَةِ رِجَالٍ .

أَمَّا الْأَمِيرُ ، وَكَانَ لَا يَنْظُرُ

إِلَّا إِلَى خَطِيْبَتِهِ ، فَقَدْ جُرِحَ





إِصْبَعُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مَرِحًا كُلَّ الْمَرَحِ ، فَالْقَلْبُ
الرَّاضِي يَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ جَمِيلًا .

وَلَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ الشَّيْخُ مُثْقَلًا بِالسِّنِينَ وَالْمَجْدِ ، خَلَفَهُ
الْأَمِيرُ وَزَوْجَتُهُ عَلَى الْعَرْشِ ، وَكَانَا رَحِيمَيْنِ عَادِلَيْنِ ، وَحَكَمَا
نَحْوَ نِصْفِ قَرْنٍ ، لَمْ يَذْرِفِ الشَّعْبُ فِيهِ دَمْعَةً وَاحِدَةً ، وَلَا
سَأَلَ مِنْهُ نُقْطَةً دَمٍ ، وَمَا زَالَتِ الْأَجْيَالُ الَّتِي تَتَابَعَتْ مِنْ هَذَا
الشَّعْبِ ، تَذَكُّرُ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ ذَلِكَ الْعَهْدِ الْجَمِيلِ السَّعِيدِ...

أسئلة في القصة

- ١ - ماذا كان الملك يتمنى وما كانت أحلامه ؟
- ٢ - ما الذى جعل ابن الملك يغير تفكيره فى الزواج ؟
- ٣ - ماذا قال له أبوه عندما علم برغبته فى السفر ؟
- ٤ - ما الفرق بين بكاء الأطفال وبكاء الرجال ؟
- ٥ - بأى بلاد مرّ الأمير فى طريقه إلى الشرق الأقصى ؟
- ٦ - من لمح الأمير عندما كان يتمشى على الشاطئ ؟
- ٧ - أى شىء رأى الأمير فى الكوخ الذى عشر عليه ؟
- ٨ - إلى ماذا كانت ترمز الجنيات الثلاث ؟
- ٩ - ماذا أعطت أصغر الجنيات الأمير وبماذا أوصته ؟
- ١٠ - هل عمل الأمير بنصيحة الجنية الصغيرة ؟
- ١١ - ماذا قال الأمير لخطيبته قبل أن يصحبها إلى قصر أبيه ؟
- ١٢ - ماذا حدث للخطيبة بعد ابتعاد خطيبها منها ؟
- ١٣ - كيف أدركت الجارية الشريرة أن هناك أحداً ينظر إليها ؟
- ١٤ - أفرح الملك عندما استقبل ابنه وخطيبته أم حزن ؟ ولماذا ؟
- ١٥ - كيف كشف أمر الجارية الشريرة ؟
- ١٦ - لو أردنا أن نرسم إلى الخير والشر فمن نرسم إليه من أشخاص هذه القصة ؟
- ١٧ - اكتب القصة بأسلوبك وإنشائك .